

ندوة إذاعية - إذاعة دمشق - ندوات مختلفة - الندوة ١٥: التوحيد  
لفضيلة الدكتور محمد راتب النابلسي بتاريخ: ٢٠٠٣-١١-١٠

### بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

أعزائي المشاهدين ، أخوتي المؤمنين ، السلام عليكم ورحمة الله وبركاته ، تلك العقيدة التي هي للب الإسلام ، بل هي محور رسالات السماء ، قال تعالى :

﴿وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا نُوحِي إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونَ﴾

(سورة الأنبياء : ٢٥)

إله واحد ، خالق كل شيء ، رب كل شيء ، له الخلق والأمر ، وإليه المصير ، في السماء إليه ، وفي الأرض إليه .

﴿إِنَّ رَبَّكَ فَعَالَ لِمَا يُرِيدُ﴾

(سورة هود : ١٠٧)

﴿وَإِلَيْهِ يُرْجَعُ الْأَمْرُ كُلُّهُ فَاعْبُدُهُ وَتَوَكُّلْ عَلَيْهِ﴾

(سورة هود : ١٢٣)

هو وحده الجدير ، أن يعبد فلا يجحد ، وأن يشك فلَا يكفر وأن يطاع فلا يعصى .  
روى الشیخان البخاري ومسلم : عن معاذ بن جبل رضي الله عنه قال : كنت رديف النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال لي يا معاذ ما حق الله على العباد ؟ وما حق العباد على الله ؟ قلت الله ورسوله أعلم ، قال عليه الصلاة والسلام : حق الله على العباد أن يعبدوه ، لأن العبادة هي علة وجودهم .

﴿وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونَ﴾

(سورة الذاريات : ٥٦)

حق العباد على الله أن يعبدوه ، ولا يشركوا به شيئاً وحق العباد على الله ، أن لا يعذب من لا يشرك به شيئاً .

أيها الأخوة المشاهدون :

تحدثت عن تعريف التوحيد ، وهو أنا ذا أنتقل إلى لوازيم التوحيد ، من لوازيم التوحيد :  
أن لا يتخذ الإنسان من دون الله رباً يعظمه كما يعظ الله

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَبْغِي رَبًا وَهُوَ رَبُّ كُلِّ شَيْءٍ﴾

(سورة الأنعام : ١٦٤)

فلو اعتقد أن جهة غير الله ، يمكن أن تعطي ، أو أن تمنع يمكن أن تخفض ، أو أن ترفع ، يمكن أن تعز أو تذل ، مستقلة عن إرادة الله فقد أشرك .

﴿قُلْ اللَّهُمَّ مَا لِكَ الْمُلْكُ تُؤْتِي الْمُلْكَ مَنْ تَشَاءُ وَتَنْزِعُ الْمُلْكَ مِنْ تَشَاءُ وَتُعَزِّ مَنْ تَشَاءُ وَتُذَلِّ مَنْ تَشَاءُ بِيَدِكَ الْخَيْرُ إِنَّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾

(سورة آل عمران : ٢٦)

أيتها الأخوة الأكارم :

ومن لوازم التوحيد أيضاً :

أن لا يتخذ الإنسان من دون الله ولِيَا ، يحبه كحب الله .

﴿قُلْ أَغَيْرَ اللَّهِ أَتَخْذُ وَلِيًا فَاطِرِ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ﴾

(سورة الأنعام : ١٤)

﴿إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَنَزَّلَ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ إِلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوهُم بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ (٣٠) نَحْنُ أُولَئِكُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَشَتَّهِي أَنْفُسُكُمْ وَلَكُمْ فِيهَا مَا تَدَعُونَ (٣١) نُزُلًا مِنْ غَفُورٍ رَّحِيمٍ﴾

(سورة فصلت : ٣٠ - ٣١)

أيتها الأخوة الأكارم :

ومن لوازم التوحيد أيضاً :

أن لا يتخذ الإنسان غير الله حكماً ، يطيعه كما يطيع الله .

﴿أَفَغَيْرَ اللَّهِ أَبْتَغَى حَكْمًا وَهُوَ الَّذِي أَنْزَلَ إِلَيْكُمُ الْكِتَابَ مُفَصَّلًا﴾

(سورة الأنعام : ١١٤)

﴿وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ يَكُونَ لَهُمُ الْخَيْرَةُ مِنْ أَمْرِهِمْ﴾

(سورة الأحزاب : ٣٦)

أيتها الأخوة المشاهدون :

من ثمار التوحيد البالغة ، أن التوحيد هو في الواقع تحرير للإنسان ، من كل عبودية ، إلا لربه الواحد الديان ، الذي خلقه فسواه وكرمه ، التوحيد تحرير لعقله من الخرافات والأوهام ، التوحيد تحرير لضميره من الخضوع والذل والاستسلام ، التوحيد تحرير لحياته من سلط الأرباب والمتألهين .

ومن ثمار التوحيد البالغة أيضاً ، أن التوحيد يعين على تكوين الشخصية المترنة التي توضحت في الحياة وجهتها ، وتوحدت غايتها وتحدد طريقها ، فليس لها إلا إله واحد ، تتجه إليه في الخلوة ، والجلوة وتدعوه في السراء والضراء ، وتعمل على ما يرضيه ، في الصغيرة والكبيرة ، في القرآن :

﴿يَا صَاحِبَيِ السِّجْنِ أَرْبَابُ مُتَفَرِّقُونَ خَيْرٌ أَمِ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ﴾

(سورة يوسف : ٣٩)

وفي آية أخرى :

﴿صَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا رَجُلًا فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ وَرَجُلًا سَلَمًا لِرَجُلٍ هُلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا الْحَمْدُ لِلَّهِ بَلْ أَكْثُرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ﴾

(سورة الزمر : ٢٩)

ومن ثمار التوحيد أيضاً : أن التوحيد يملئ نفس صاحبه أمناً وطمأنينة فلا تسترد بها المخاوف التي تتسلط على أهل الشرك ، فقد سد الموحد منافذ الخوف التي يفتحها الناس على أنفسهم ،

الخوف على الرزق ، والخوف على الأجل ، والخوف على النفس ، والخوف على الأهل والأولاد، والخوف من الإنسان ، والخوف من الجن ، والخوف من الموت ، والخوف من ما بعد الموت .

أما المؤمن الصادق ، الموحد فلا يخاف إلا الله ، ولا يخشى إلا الله ، ولهذا تراه أمناً إذا خاف الناس ، مطمئناً إذا فلق الناس هادئاً إذا اضطرب الناس .

﴿فَأَيُّ الْفَرِيقَيْنِ أَحَقُّ بِالْأَمْنِ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ﴾ (٨١) الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمان وهم مهتدون ﴿﴾

(سورة الأنعام : ٨١ - ٨٢)

وقال تعالى :

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

(سورة الشعراء : ٢١٣)

يا أيها الأخوة الأكارم :

من ثمار التوحيد اليابعة أيضاً ، أن التوحيد مصدر لقوة النفس إذ يمنح التوحيد صاحبه، قوة نفسية هائلة ، حيث تمتلك نفسه من الرجاء بالله تعالى ، والثقة به ، والتوكيل عليه ، والرضى بقضائه والصبر على بلائه ، والاستغناء به عن خلقه ، فهو راسخ كالجبل ، لا ترثمه الحوادث ، ولا تزعزعه الكوارث .

﴿فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا أَخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمُعَذَّبِينَ﴾

(سورة يونس : ١٠٧)

﴿فَكَيْدُونِي جَمِيعًا ثُمَّ لَا تُنْظِرُونِ﴾ (٥٥) إِنِّي تَوَكَّلْتُ عَلَى اللَّهِ رَبِّي وَرَبِّكُمْ مَا مِنْ دَبَّةٍ إِلَّا هُوَ أَخْذُ بِنِاصِيَتِهَا إِنَّ رَبِّي عَلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ﴾

(سورة هود : ٥٥)

ومن ثمار التوحيد أيضاً : أن التوحيد أساس الأخوة الإنسانية والمساواة البشرية ، لأن الأخوة والمساواة ، لا تتحققان في حياة الناس إذا كان بعضهم أرباباً لبعض ، أما إن كان الناس جميعاً عباداً لله والله فوق الخلق فيها وحده ، هو الخالق ، المربي ، المسير ، الرازق هو الحكم ، إليه المصير ، عندئذ تتحقق المساواة بين الناس ، ويتألف بعضهم بعضاً .

وهذه بعض ثمار التوحيد ، وقد قيل ما تعلم العبيد ، أفضل من التوحيد وقيل أيضاً : نهاية العلم التوحيد ، ونهاية العمل النقوى .

أيها الأخوة الأكارم : أرجو أن تكونوا قد أفتم من موضوع التوحيد ، وشكراً لإصحابكم ، وإلى لقاء آخر إن شاء الله تعالى .  
والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته .

والحمد لله رب العالمين